منهج حجة الإسلام الغزالي مع فرق عصره في الرد والتقويم
دراسة عقدية

م. د. طه خالد محمد عرب
جامعة سامراء – كلية التربية

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

وبعدُ

فإن تأريخ أمجاد الإسلام حافل بشخصيات عظيمة ذات عطاءٍ قيِّمٍ لا سيما في مجال الدرس الكلامي حيث برع في معترك الصراع الفكري الكلامي شخصيات رائعة ، ومن بينهم الإمام حجة الإسلام أبو حامد الغزالي (ت: ٥٠٥هـ) رحمه الله تعالى وأجزل له المثوبة . ذلك الإمام الذي أثرى المكتبة الاسلامية بدرر لطالما احتاجها الباحثون حتى يومنا . ومن بينها كتابه القيم (المنقذ) وهو أشهر كتبه التي تكلم فيها عن الفرق وعن موقفه منها . وربما سيكون (المنقذ) الكتاب الأكثر رجوعاً إليه في هذه الدراسة . وأسميتُ بحثي : (منهج حجة الاسلام الغزالي مع فرق عصره في الرد والتقويم – دراسةً عقديةً) هدفتُ فيه إلى بيان الاسلوب المقتبس من نظرة الإمام الغزالي لفرق عصره وكيف انتقدها ؟!!

ولا تخفى أهمية هذا البحث لاسيما في مجال دراسة الفرق ؛ إذ هو مادة دراسة لذلك العلم الجليل تبرز فيه عقلية القرن الخامس والسادس المدة التي عاش فيها الغزالي رحمه الله .

جعلته (مقدمة ، ومبحثين ، وخاتمة) .

المبحث الاول : علم الكلام ودراسة الفرق .

المبحث الثاني : موقف الامام الغزالي من الآراء الكلامية لدى الفرق الأخرى .

وفيه أربعة مطالب :

المطلب الاول : الفلاسفة .

المطلب الثاني : المتكلمون .

المطلب الثالث : الباطنية .

المطلب الرابع : الصوفية.

المبحث الأول :علم الكلام ودراسة الفرق .

لقد تَطَوَّرَ علمُ الكلام ؛ لبواعث عديدة أشهرُها أن يدفع العلماء ما أورده الفلاسفة بعد اتساع رقعة البلاد الإسلامية التي ضمَّت طوائف وقوميات شتى مما ألْجَأ نُجباءَ هذه الأمة الى الذود عنها ، فاتسعتْ دائرة التفكير والرد والمعالجة الفكرية كاتساع البلاد بأُناسِها ولهجاتِها

كان هذا العلم بيد بعضهم للتضليل ومتاهة ، فقد ضاع فيه من رام الوصول إلى الحقيقة . ولَمَّا يَصِلْ !!

إنَّ الخوض في سببِ فشلِ هؤلاء يظهر في ملامحِ نجاحِ من أحْسَنَ السيرَ في هذا العلم الكريم . تلك الفئةُ التي اهتمتْ بالشرع الحنيف ، وآمنتْ أن لا تناقض فيهِ مع العلم بحقائقِهِ الثابتةِ الراسخةِ ، ورأتْ أنَّ على العقل الذي أنارَهُ العِلْمُ وبَهَجَ بالدين واجبًا شرعيًا نَحْوَ الأجْيالِ القَادِمَةِ ، فقاموا بإيضاحِ المُبْهم ، وسَهَّلوا الصِعَابَ أمامَ العامة ؛ كي لا تضطربَ عقائدُهم ويعيشوا في ضَيَاعٍ ، وهم يبحثون عن الحقيقة التي يبغونها .

ومن هذه الفئةِ بَرَزَ الإمامُ الهمامُ أبو حامدٍ الغزاليُ رائِدًا لهؤلاءِ العلماءِ؛ حيث أعاد البحث من جديد لكل القضايا المتعلقة بالعقيدة والشريعة ، وقال فيها كلمتَهُ التي كانت ولا تزال الكلمة المسموعة التي يصغي إليها علماء المسلمين إلى يومنا هذا.

من المؤكَّد أنَّ لكل عالمٍ منهجًا سار عليه ، فأحياناً يُصَرَّح به ، وأحيانًا يظهر من خلالِ طريقتِهِ في معالجة الأفكار ورد الخصوم وتحرير المسائل ، فظهر لنا هنا أن الإطلالة على منهج الإمام الغزالي رحمه الله تقتضي معرفة محورين:

- أهم الفرق التي لابستْ مسيرته الفكرية .
- وكيفية تعاملِهِ رحمه الله تعالى معها .

ولأجل ذلك لابد من التذكير بمفهوم (الفرقة والفِرَق ، ودراستها) قبل الخوض في المحورين كمقدمةٍ وتمهيدٍ لهما بشكل موجز:

الفِرَقُ – بكسر الفاء وفتح الراء – جمع فِرْقةٍ ، وهي في لغة العرب مأخوذة من مادة (ف ر ق) ، فهي أصل واحد يُشتق منه ما يدل على الفصل والانفصال والابتعاد والتقسيم والتشتيت وكلها ورادة في لغة العرب[١]، وما ورد من هذه المادة دالٌ على الفصل بين ذات الشيئين أو بين وجهييه أو بين معانيه .

ومن هنا يبدأ المعنى اللغوي يُلَوِّحُ إلى المعنى الاصطلاحي ويشير إلى المناسبة بينهما ؛ إذ أغلب المصطلحات العرفية الخاصة للعلوم انبثق إطلاقُها من أصلٍ ، وهو في الأغلب لغوي .

يتجلى ذلك واقعًا في تفسير ابن حزم[٢] رحمه الله لمعنى الفرقة بقوله : " كل طائفة من الناس دُعِيَتْ إلى مُعْتَقَدٍ مُعَيَّنٍ[٣].

وهذا يعني أن الفرقة تطلق على من كان له معتقد خاص عُرِفَ به واشتهر بين الناس ، فهي إذًا !! اسم لحامل الفكرة ، وهو المعنى الذي يدل عليه الاطلاق الوضعي المقيد بوصفٍ معين ، فتقول "معتزلة " مثلًا ، وتعني فرقة تحمل فكرة الاعتزال ، وكأَنَّ هذه الفرقة تمحَّضَتْ في تلك الفكرة حتى أصبح وصفُ الاعتزال عَلَمًا عليها ، وكذا القول في أسماء الفِرَق الأخرى .

لكن لابد من التأكيد من أن هذا المصطلح –الفِرَق – لا يمكن إطلاقه الا بملحوظية الأفكار التي تحملها تلك الفرقة ، فيكاد يطلق على الفكرة المُعْتَنَقَّة دون صاحبها .

وبهذه الحالة سيكونُ العِلْمُ . الذي يَبْحَثُ في بيانِ هذه الأفكار المختلفةِ ، ويُمَيِّزُ بينها بشكلٍ موضوعي ، ويُعَرِّفُ برجالِها ، ويُحَدِّدُ مواقفَهم حَوْلَ أهمِ أمورِ العقائدِ الإسلامية . علمًا باحثاً عن: **الفصْلِ بين الاتجاهاتِ الفكرية والمذهبية بين طوائف الناس**[٤]؛ حيث إنّ كُلَّ طائفةٍ منهم تأخذُ طريقاً مُغايراً أو مُبايِنًا لطريق الطوائف الأُخَر في الآراء والأفكار ؛ ليتفرَّعَ على ذلك اختلافُهم في الأحوال والأقوال[٥] ، وهذا المفهوم هو المَعْنِي بـ(دراسة الفِرَقِ).

وبناءًا على ما تقدم ومن وجهة نظري أن يكون التعريف المناسب لعلم دراسة الفِرَقِ وِفْق ما تقدَّم ، هو : العلمُ الباحثُ عن الأفكار التي كان لها مقالٌ ذو أثرٍ معنوي في الأمور العقدية الدينية ، وهو ما نسميه بـ" دراسة الفرق " .

وهو العلم الذي نمارسه الآن لا سيما ونحن نحرر منهجية رائد من رُوَّاد الفكر الإسلامي وحجةٍ من حُجَجِهِ ألا وهو الإمام الغزالي ، فإنَّه رحمه الله عايشَ أزمةَ الخِصام الفكري آنذاك . الأمرُ الذي دعاه إلى دراسة علوم الشريعة والإطلاع على فلسفتها في الفروع (أصول الفقه) ، وفي الأصول (علم الكلام) ، وفي الاخلاق (علم التصوف) ، فتراه أبدع واجاد تأليفا وتحريرا لتلك الأبواب ، وكتابه المستصفى لخير شاهد على قوتِهِ في علم أصول الفقه الذي يُعَدُّ فلسفة الفروع الفقهية . الكتاب الذي لم يتمكن أحد أن يلج في هذا الميدان دون الرجوع إليه . وكتبُهُ الكلامية التي أجاد فيها وأبدع والتي من خلالها تظهر منهجيته في معالجة الأفكار.

إذاً مفهوم دراسة الفرق الذي تمت الإشارة إليه علمٌ يمارسه كل باحث عن الحقيقة ومنهم الغزالي رحمه الله تعالى ويظهر ذلك من جسامة إرثه العلمي .

لايمكن أن يتضح الضابط الأساسي لمفهوم الفرق الإسلامية إلا إذا قصر على محدد إسلامي؛ إذ أن هذا الإطار هو المُخَصِّص الذي به وحوله وعليه تتمحور مقالات أصحاب الفرق.

وإنما تصير هذه الفرقة فرقةً متميزةً بمخالفتها للفرق الأخرى . أما معرفةُ كونها محقة أو مبطلة ، فتظهر من خلال موافقتها للقاعدة الأم –وهي الفرقة الناجية– في فكرةٍ لها أثر كلي أو

جزئي ، فإن الخلاف في الأصول أو ما هو قريب من الأصول سواء نشأ عنه خلافٌ في الفروعِ أم لا هو المعيار في تميز الفرق عن الفرقة الناجية . نأخذ المجسمة مثلاً ، فإن اغلبهم حنابلة في الفروع ولا قيمة لهذا الخلاف الفرعي مع وجود خلافٍ في الأصول العقدية .

أما الاتفاق في الأصول مع الاختلاف في الفروع ، **فبرأيي** هو ليس بشيء يُذكر كما هو شأن المذاهب الأربعة المختلفة في الفروع مع اتفاق أصولهم العقدية ؛ إذ الخلاف في الجزئيات والنوادر من الفروع التي لا تحصل أو تنشأ عنه مخالفة يقع بسببها التفرق شيعا ، ويجري مجرى القاعدة الكلية كثرة الجزئيات ، فإن المخطيء في الفروع لا يستحق وصف (المبتدع) حتى يكون إنحرافه مبنياً على فكرة عقدية أصلية مخالفة لعقيدة أهل الحق . وإلا كان انحرافه مجرد خطأ في الاجتهاد لا ابتداع .

ومما يجب التنبه له أنه إذا أكثر من إنشاء الفروع المخترعة عاد ذلك على كثير من الشريعة بالمعارضة .

وهنا تظهر أهمية الخوض في علم الكلام ؛ لان البشر لا يخلو إما أن يكون عالما أو جاهلاً ، والعالم أما مصيب ، أو مخطيئءٌ أو منافق ، ولا كلام لنا مع الجاهل؛ لكون علاجِهِ التعليم ، وكذا لا كلام لنا مع العالم المصيب ، وبقي الكلامُ مع العالم المُخطيء والمنافق ؛ إذ زلة العالم مما يهدم الدين ، ودهاء المنافق يقلبه على عقبِهِ ؛ قال سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه : (هل تدري ما يهدم الإسلام؟ زلة عالم وجدال منافق بالقرآن وأئمة مضلون) [٦] ، فانظر الى المخطئين والمنافقين على كثرتهم كم أسهموا في هدم ديننا ؟!! [٧].

وقد رُوِيَتْ عدةُ أحاديث عن رسول الله ﷺ في افتراق الأمة الإسلامية إلى عدة فرق؛ منها حديث أبى هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة، وتفرقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة، وتفترق أمتى على ثلاث وسبعين فرقة)[٨].

المبحث الثاني : الفرق المتنازعة وموقف الغزالي منها .

أول الفرق كانت ظهوراً : الخوارج ثم الشيعة وبين هاتين الفرقتين وجدت فرقة ثالثة هي المرجئة ، وإذا نظرنا إلى نشأة هذه الفرق نجد أنها سياسية محضة ؛ لأنّ سبب نشأتها هو أمر الخلافة الإسلامية ، ولكن حالتهم تغيرت وأصبحوا فرقا دينية محضة[٩] .

وفِرَقُ المقرين بملة الإسلام خمس وهم : (أهل السنة، والمعتزلة، والمرجئة والشيعة ، والخوارج) ثم افترقت كل فرقة من هذه الفرق على فرق ، وأكثر افتراق أهل السنة في الفروع ونُبَذٍ يسيرة من الإعتقادات غير الأصلية والتي لا يترتب عليها عقابٌ كما سيأتي التنبيه عليه إن شاء الله تعالى.

ثم إنَّ سائر الفرق الأربع الآنف ذكرُها فيها ما يخالف مذهب أهل السنة الخلاف البعيد ، وفيهم ما يخالفهم الخلاف القريب [١٠].

لقد كان موقع الإمام الغزالي من هذا كله هو طلب المعرفة وهتك أسرار المشكلات والكشف عن حقائقها، فلم يدع كتاباً إلا وقرأه ولا مذهباً إلا ووقف على أسراره، ولا مشكلة إلا وبذل ما في وسعه لحلها، ولا موضوعاً من مواضيع المعرفة إلاّ وتطرق إليه. كما وبحث عن جميع الأديان والفلسفات التي كانت منتشرة في عصره وله كتاب في الرد على إلوهية السيد المسيح سماه (الرد الجميل لإلهية عيسى بصريح الإنجيل أو الرَّد الْجَمِيل على من غير التَّوْرَاة والانجيل) وقد استشهد في كتابه الإحياء في أكثر من موضع بنصوص من الإنجيل[١١].

قد حدثنا الإمام الغزالي رحمه الله في كتابه" المنقذ " بأنه كان حريصاً جداً على بيان أسرارها ومعرفة الفئة الناجية يوم القيامة والذي قال به المصطفى ﷺ إذ لم يدع أية فرقة إلا وفحصها، وقد كان هذا البحث مجازفة كبيرة قد خاضها خوض الجسور واقتحم لجة البحر العميق والذي كان الأكثرون يغرقون فيه فلم يتردد هو في ذلك؛ وكل ذلك في سبيل التمييز كما يقول : (بين محق ومبطل، ومتسنن ومبتدع، لا أغادر باطنياً إلا وأحب أن أطلع على باطنيته، ولا ظاهرياً إلاّ وأريد أن أعلم حاصل ظاهريته، ولا فلسفياً إلا وأقصد الوقوف على كنه فلسفته، ولا متكلماً إلا وأجتهد في الاطلاع على غاية كلامه ومجادلته، ولا صوفياً إلا وأحرص على العثور على سر صوفيته، ولا متعبداً إلا وأترصد ما يرجع إليه حاصل عبادته، ولا زنديقاً معطلاً إلا وأتجسس وراءه للتنبيه لأسباب جرأته في تعطيله وزندقته)[١٢].

وبعدها حصرالإمام الغزالي أصناف الطالبين في أربع فرق، وهم:

١. المتكلمون.
٢. الباطنية.

٣. الفلاسفة.

٤. الصوفية[١٣].

وسوف يأتي إيجازُ بيانِ كل فرقة حتى يتضح موقف الإمام رحمه الله تعالى بشكل تفصيلي في المطالب الآتية .

المطلب الأول : المتكلمون .

هم السالكون طريق النظر والاستدلال ؛ لأجل معرفة الله ومعرفة ماله من صفات الكمال وما لحق ذلك من العقائد الإسلامية منتصرين لها مدافعين عنها الشُبَهَ بالأدلة على قانون الإسلام[١٤].

الإمام الغزالي رحمه ومن تتبع كلامه يؤكد على أن علم الكلام هو أحد علوم الشريعة، ويؤكد على رفعة شأنه مقارنةً بالعلوم الأخرى كالفقه والأصول[١٥]، وكذلك الملحوظ من كلامِهِ أن مقصود علم الكلام كما يقول هو: (الإحاطة بحدوث العالم، وافتقاره إلى صانع مؤثر متصف بما يجب من الصفات، قادر على بعثة الرسل وتأييدهم بالمعجزات)[١٦]. غير أنه يستدرك هذا القول بأن شأن هذا العلم شأن العلوم الأخرى فيه الصحيح وفيه الخطأ، وفيه الإجماع وفيه النزاع ؛ وذلك من خلال الأدلة المعتمدة في إثبات موضوعاته[١٧].

وأرى أن وجهة نظره هذه هي نتيجة المراحل التي مر بها مع ما لابسه من توجهات في فترة حياته من الولادة (٤٥٠ هـ) حتى الوفاة (٥٠٥هـ) بمعنى أنه شهد مرحلة ولادة جديدة للفلسفة على يد الإسلاميين كالشيخ الرئيس علي بن سينا[١٨] (ت: ٤٢٨ هـ) ، والذي أثار حفيظة الكثير بآراءه في الالهيات ، فلا جرم أن يشهد الغزالي المرحلة المبكرة لتصنيف علم الكلام ومحاوره التي كانت تملاء المجالس بما لا يستقل عن الشبه من حيث الأدلة وتقريرها ، وهي مرحلة ما قبل فخر الاسلام والمسلمين فخر الدين الرازي (ت:٦٠٦هـ) أما مرحلة ما بعد الرازي ، فالتصنيف الكلامي تطوَّر غاية النمو . ومن يطالع كتب الرازي على صعيد الأصلين يجزم بذلك. فعلمُ الكلام بعد الغزالي تشهد له الكتب المرقومة بمتانته وخلوصه من تلك الفلسفات الفاسدة .

وبرأيي لا شك أن يلحظ اللبيب الفرق بين تَضَمُّنِ الكتب الكلامية للمباحث الفلسفية وهي ناقدة لها موضِّحة شبهها مُبيِّنة عوارها وفسادها ؛ككتاب المواقف للعلامة عضد الدين الإيجي[١٩] (ت : ٧٥٦هـ) ، ومقاصد الطالبين للعلامة سعد الدين التفتازاني[٢٠] (ت: ٧٩١هـ) ، وبين تَضَمُّنِها لتلك الفلسفات وهي معتمدة عليها مقررة لها كلها أو بعضها ككتب الفارابي[٢١].

ويشير الإمام الغزالي رحمه الله أيضاً إلى أنه قد ابتدأ النظر والتعمق في أفكار تلك الفرق، فخاض في غمارها متفحصاً مذاهبها يقول: (إني ابتدأت بعلم الكلام، فحصلته، وعقلته، وطالعت كتب المحققين منهم، وصنفت فيه ما أردت أن أصنف، فصادفته علماً وافياً بمقصوده، غير واف

بمقصودي؛ وإنما مقصوده، حفظ عقيدة أهل السنة، وحراستها من تشويش أهل البدعة، فقد ألقى الله تعالى إلى عباده على لسان رسوله عقيدة هي الحق، على ما فيه من صلاح دينهم ودنياهم، كما نطق بمعرفة القرآن والأخبار ، ثم ألقى الشيطان في وساوس المبتدعة أموراً مخالفة للسنة، فلهجوا بها، وكادوا يشوشون عقيدة الحق على أهلها ، فأنشأ الله طائفة المتكلمين، وحرَّك دواعيهم لنصر السنة بكلام مرتب، يكشف عن تلبيسات أهل البدعة المحدثة. فمنه نشأ علم الكلام وأهله)[٢٢].

إذاً !! هو يقرر أن علم الكلام إنما نشأ للدفاع عن الحق وبيان الباطل.

أما أنه لم يف بمقصوده ؛ لأنه وجده قاصراً لاحواله الخاصة التي مر بها ومنها مرحلة الشك.

ولأن أصحابه قد أكثروا في البحث عن الجواهر والإعراض ، فلم يُحسنوا في تلك المرحلة عرض هذا العلم بصور اكمل مما نتج عنه بقاء ظلمات الحيرة التي كانت تلف بالإمام الغزالي في ذلك الوقت [٢٣].

ولم يكن هذا العلم بشكله التدويني موجوداً في عصر الصحابة رغم كونهم أعرف الناس بالاعتقاد ، كذلك لم يكن أحد منهم يروِّج لصنعة الكلام[٢٤]، وبعد انتشار تدوين هذا العلم بين المسلمين بدأ أصحابه بالإكثار في النقاش والجدال في مسائل هذا العلم ولم يسلم القرآن من هذا الجدال فضل سلوكهم وانحرفوا عن المسار الذي بدأوا به، وفي هذا القول يقول: ولكنه. عميت بصيرته، فلم يلتفت إلى القرن الأول، فإن النبي ﷺ شهد لهم بأنهم خير الخلق، وأنهم قد أدركوا كثيراً من أهل البدع والهوى، فما جعلوا أعمارهم ودينهم غرضاً للخصومات والمجادلات. وإذا رأوا مصراً على ضلالته هجروه وأعرضوا عنه وأبغضوه في الله، ولم يلزموا الملاحاة معه طول العمر، بل قالوا: إن الحق هو الدعوة إلى السنة، إذ روى أبو إمامة الباهلي عن النبي ﷺ أنه قال: ''**ما ضل قوم قط بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجدل.**''[٢٥] ثم إنهم رأوا رسول الله ﷺ وقد بعث إلى أهل الملة كافة، فلم يقعد معهم في مجلس مجادلة لإلزام وإفهام وتحقيق حجة، ودفع سؤال وإيراد إلزام، فما جادلهم إلا بتلاوة القرآن المنزل عليهم، ولم يزد في المجادلة عليه؛ لأن ذلك يشوش القلوب[٢٦].

وإذا قرأنا كتب الإمام الغزالي وخاصة (تهافت الفلاسفة ، وفضائح الباطنية) لرأينا بأنه في هذين الكتابين متكلم فذ وناقد بصير ، لا مؤرخ وصفي؛ حيث هاجم الفلاسفة في التهافت بطريقة كلامية وكذلك في الفضائح[٢٧].

وينبه إلى أنه لا يجوز إطلاق لفظ التوحيد على علم الكلام، وإلى ذلك قال: (لفظ التوحيد: قد جعل الآن عبارة عن صناعة الكلام، ومعرفة طريق المجادلة، والإحاطة بطرق مناقضات الخصوم، والقدرة على التشدق فيها، حتى لقب طوائف منهم أنفسهم بأهل العدل والتوحيد، وسمي المتكلمون: العلماء بالتوحيد، مع أن جميع ما هو خاصة هذه الصناعة، لم يكن يعرف منها شيء في العصر الأول، بل كان يشتد منهم النكير على من كان يفتح باباً من الجدل والمماراة. فأما ما يشتمل عليه القرآن من الأدلة الظاهرة التي تسيق الأذهان إلى قبولها في أول السماع، فلقد كان معلوماً للكل، وكان العلم بالقرآن هو العلم كله، وكان التوحيد عندهم عبارة عن أمر آخر لا يفهمه أكثر المتكلمين، وإن فهموه لم يتصفوا به، وهو أن يرى الأمور كلها من الله عز وجل)[٢٨].

أما رأيه رحمه الله في حكم تعلمه، فقد تعرَّض في الاقتصاد إلى أربعة أحوال :

الاول : حكم التبحر على عامة الناس ، فقد ذكر أنه حكمه من فروض الكفايات ويعلل ذلك : بأنه لا يجب على (كافة الخلق إلا التصديق الجزم وتطهير القلب عن الريب والشك في الإيمان)[٢٩]. بشرط أن لايعتريه شك .

والثاني : حكم من اعتراه شك ، فحكمه حينئذٍ فرض عين ؛ (وإنما تصير إزالة الشك فرض عين في حق من اعتراه الشك) [٣٠]كما علله رحمه الله.

١- بأن ازالة الشكوك في أصول العقائد واجبة .

٢- واعتوار الشك غير مستحيل وإن كان لا يقع إلا في الأقل.

٣- ثم الدعوة إلى الحق بالبرهان مهمة في الدين.

٤- ثم لا يبعد أن يثور مبتدع ويتصدى لإغواء أهل الحق بإفاضة الشبهة فيهم، فلا بد ممن يقاوم شبهته بالكشف ويعارض إغواءه بالتقبيح، ولا يمكن ذلك إلا بهذا العلم[٣١].

الثالث : وجوب توفر عالم في كل بلد وإلا أثم الكل ؛ ولهذا يقول رحمه الله: (فوجب أن يكون في كل قطر من الأقطار وصَقْع من الأصقاع قائم بالحق مشتغل بهذا العلم يقاوم دعاة المبتدعة ويستميل المائلين عن الحق ويصفي قلوب أهل السنة عن عوارض الشبهة. فلو خلا عنه القطر حَرِجَ به – أي أثم بتركه – أهلُ القطر كافة، كما لو خلا عن الطبيب والفقيه) [٣٢].

الرابع : جواز ترك علم الكلام والاشتغال بالفقه في حق :

١- من وجد نفسه قادراً على الولوج في علم الفقه أو علم الكلام .

٢- وخلا البلد عن القائم بهما جميعا.

٣- ولم يتمكن من الجمع بينهما . فحينئذٍ نرى أن الامام رحمه الله يجيز ترك علم الكلام ويوجب تقديم الفقه .

ويعلل ذلك :

١- بـ (أن الحاجة إليه أعم والوقائع فيه أكثر فلا يستغني أحد في ليله ونهاره عن الاستعانة بالفقه.

٢- واعتوار الشكوكِ المُحْوِجةِ إلى علم الكلام نادرٌ بالإضافة إليه ؛ كما أنه لو خلا البلد عن الطبيب والفقيه – أي معا – كان التشاغل بالفقه أهم؛ لأنه يشترك في الحاجة إليه الجماهير والدهماء. فأما الطب فلا يحتاج إليه الأصحاء، والمرضى أقل عدداً بالإضافة إليهم. ثم المريض لا يستغني عن الفقه كما لا يستغني عن الطب وحاجته إلى الطب لحياته الفانية وإلى الفقه لحياته الباقية وشتان بين الحالتين. فإذا نسبت ثمرة الطب إلى ثمرة الفقه علمت ما بين الثمرتين.

٣- ويدلك على أن الفقه أهم العلوم اشتغال الصحابة رضي الله عنهم بالبحث عنه في مشاورتهم ومفاوضاتهم.

٤- ولا يغرنك ما يهول به من يعظم صناعة الكلام من أنه الأصل والفقه فرع له فإنها كلمة حق ولكنها غير نافعة في هذا المقام – اي في حالة وجود قدرة على الاشتغال بأحد العلمين، وثبوت حاجة البلد اليهما وعدم القدرة على الجمع بينهما–، فإن الأصل هو الاعتقاد الصحيح والتصديق الجزم وذلك حاصل بالتقليد ، والحاجة إلى البرهان ودقائق الجدل نادرة)[٣٣].

ومن تتبع كلامه في كتبه الاخرى يجده أن الكلام المتقدم يجري في غير الصبي. أما فيه فيؤكد على صيانة عقيدة الصبي وأن يتبدأ بالحفظ ، ثم الفهم ، ثم الاعتقاد والإيقان والتصديق[٣٤]. وعليه، فلا حاجة الى علم الكلام لهذا الصبي ، وهو خارج التفصيل المتقدم ، بل يرى في الإحياء أنه (ينبغي أن يحرس سمعه من الجدل والكلام غاية الحراسة، فإن ما يشوشه الجدل أكثر مما يمهده وما يفسده أكثر ما يصلحه)[٣٥]. ولم يعد علم الكلام من العلوم فقال: (إعلم أن حاصل ما يشتمل عليه علم الكلام من الأدلة التي ينتفع بها، فالقرآن والأخبار مشتملة عليه، وما خرج عنهما فهو إما مجادلة مذمومة وهي من البدع. وإما مشاغبة بالتعلق بمناقضات الفرق لها، وتطويل بالنقل لمقالات أكثرها ترهات وهذيانات، تزدريها الطباع وتمجها الأسماع، وبعضها خوض فيما لا يتعلق بالدين)[٣٦]*.

الخلاصة:

لقد درس الإمام الغزالي علم الكلام– على وجه ما قبل النضوج – دراسة وافية وواسعة ورأى بأن الضرر فيه أكثر من نفعه، ودرء المفسدة مقدم على جلب المصلحة، وإلى ذلك يقول: (التخبيط والتضليل فيه – علم الكلام– أكثر من الكشف والتعريف)[٣٧]، وبدأ الغزالي بيان مضرة

هذا العلم وبين بأنه لن تستطيع الوصول إلى المعرفة الحقيقية عن طريق هذا العلم كما أنه يشكل عقبة في الطريق ويقول في ذلك: (فأما معرفة الله تعالى وصفاته وأفعاله. فلا يحصل من علم الكلام، بل يكاد أن يكون الكلام حجاباً ومانعاً عنه [٣٨].

فإن كان المراد من المعرفة في كلامه على وجه الاستدلال والايمان بالدليل ، فلا شك في عدم قبوله ؛ إذ الاستدلال الإجمالي على وجود الله وإثبات صفاته لا يمكن بدون علم الكلام ، ولا يخالف من هو حجة الاسلام رحمه الله في ذلك .

وإن كان المراد بالمعرفة بلوغ حالة القرب الالهي التي لا ينالها كل أحد إلا صفة خلق الله تعالى ، فلا شك في وجيه تعبيره وجميل وصفه .

ومن هذا الفرق نفهم أنه رحمه الله لايرفض علم الكلام رفضاً تاماً (فنحن لا نعني به إلا معرفة الدليل على حدوث العالم ووحدانية الخالق وصفاته كما جاء في الشرع، فمن أين تحرم معرفة الله تعالى بالدليل)[٣٩].

وكذلك نفهم أنه دعا في كتبه إلى ترك هذا العلموأصحابه وإلجام العوام عنه وذلك في سبيل سد باب الفتنة.

فضلاً عن ذلك، إن هذا العلم لم يف بمقصود الغزالي ولم يجد عنده الدواء الشافي لعلته وهي التماس الطريق إلى العلم اليقيني[٤٠]، وأن هذا العلم لا يؤدي إلى الحقيقة[٤١]. الكاملة بل يحتاج إلى معين وخير معين له عند الإمام الغزالي هو علم القلوب –التصوف– حيث لجأ إليه .

المطلب الثاني : الفلاسفة .

هم السالكون الطريق المؤدي إلى المعرفة إما عن طريق النظروالاستدلال أو عن طريق الرياضة والمجاهدة غير متبعين ملةً من الملل ، ولم يوافقوا الشريعة في أفكارهم [٤٢].

لقد كان العرب لا يعرفون الفلسفة بما تحمله هذه الكلمة من معنىً ولم تكن موجودة في بلادهم مثل تلك الفلسفات، فلذلك عندما ترجمت الفلسفة اليونانية كان لها التأثير المباشر في الفكر الإسلامي إذ أقبل كل طالب للعلم بدراستها وكان ذلك بتحمس وإعجاب بالغين إلى أن ظهر علم الكلام، غير أن علم الكلام لم يستطع إيجاد فكر فلسفي حقيقي رغم تأكيدات المتكلمين لدور العقل وذلك؛ لأنهم لم يجعلوا العقل يستقل استقلالاً حقيقياً، فأعجب الناس بعلوم الفلاسفة كالرياضية والمنطقية، وساد ذلك الإعجاب في شتى المناطق والمدن الإسلامية وعدّ الناس أن علومه كلها مثل الرياضية والمنطقية في دقتها ومن ضمنها علومهم الإلهية، غير أنهم يحكمون فيها بظن وتخمين[٤٣] ؛ ومنه يقول الإمام الغزالي رحمه الله : (ولو كانت علومهم الإلهية متقنة البراهين، نقية عن التخمين كعلومهم الحسابية، لما اختلفوا فيها كما لم يختلفوا في الحسابية)[٤٤].

وبعد أن انتهى الإمام الغزالي– رحمه الله– من علم الكلام تفرغ لدارسة الفلسفة وصور لنا حال علماء عصره من عجزهم عن الوقوف في وجه الفلاسفة، وإلى ذلك يقول: (ولم أر أحداً من علماء الإسلام صرف عنايته وهمته إلى ذلك، ولم يكن في كتب المتكلمين من كلامهم– إذ اشتغلوا بالرد عليهم– إلا كلمات معقدة مبردة، ظاهرة التناقض والفساد، لا يظن الاغترار بها بعاقل، فضلاً عمن يدعي دقائق العلوم، فعلمت: إن رد المذهب قبل فهمه والاطلاع على كنهه، رمي في عماية)[٤٥].

وبذلك أقبل الإمام الغزالي على دراسة الفلسفة، وحصل عليها من غير استعانة بأستاذ، وكان يدرسها في أوقات فراغه أيام تدريسه في بغداد حتى انتهى منها في أقل من سنتين[٤٦]. وبعد دراسة الغزالي لعلوم الفلاسفة، رفض اتجاه فلاسفة عصره، ولم يكن هذا الرفض نتيجة مخالفتهم للعقيدة الإسلامية فقط، وإنما أيضاً وجود دافع فلسفي لذلك، فبعد أن رأى بأن الفلاسفة هم يحافظون على المنهج الذي وضعوه أنفسهم في الحفاظ على وحدة العقل ولم يستوفوا تلك الشروط الضرورية في علومهم الإلهية[٤٧] ؛ إذ أنه أنشأ فلسفة إسلامية خالصة لا يشوبها أي شك أو تقليد للفلاسفة الذين سبقوه، ولم يكن هو عدواً ورافضاً للفلسفة علماً حِكَمِيَّاً، وإنما كان عدواً ورافضاً لعلوم الفلاسفة الكفرية المتضمنة نتائج تتقاطع مع الوحي السماوي، فقد أخذ العلوم الفلسفية الصحيحة المستوفية للشروط العقلية كالمنطق والرياضيات، ورفض المسائل الإلهية؛ وذلك لأن هذه المسائل لا تؤخذ ولا تعرف إلا بوحي من السماء وهؤلاء الفلاسفة ليسوا بأنبياء معصومين.

ولذلك ليس من الحق القول بأنه رفض الفلسفة مطلقاً، وإن بعض القراء قد يظنون بأنه فيلسوف عندما يقرأون كتابه (مقاصد الفلاسفة) وهَدَّام لها عندما يقرأون (تهافت الفلاسفة) ويظنون بأنه أصبح عدواً للفلسفة والفلاسفة، بينما هو كان عدواً للعلوم الكفرية منها، ولو أراد ذلك لما سَمَّى كتابه (تهافت الفلاسفة) . بل لسَمَّاه: (تهافت الفلسفة) أو(تهافت علوم الفلسفة) ، وإنما كان هجومه فيه على فلاسفة معينين[٤٨]، وقد بين سبب الهجوم وذلك ؛ لأن طائفة من الشباب قد ظنوا العصمة بالفلاسفة وصحة معلوماتهم وآرائهم ونظرياتهم؛ إذ أنهم دهشوا بعلومهم المنطقية والحسابية فظنوا ذلك أيضاً في علومهم الإلهية وهو قد ذكر في أكثر من موطن بأن آراء الفلاسفة في هذه المسألة صحيحة ، ولكنه أراد القضاء على نظرية العصمة للفلاسفة كما أراد ذلك للباطنية .

ومن ثم بدأ الإمام الغزالي يبين حكمهم الشرعي، من كفرهم وابتداعهم، ولم يكن طعن الغزالي للفلاسفة عن جهل، بل كان عن دراسة عميقة بخلاف علماء عصره الذين كان جل

موقفهم هو التكفير واللعن والطعن، وأراد الغزالي أن لا يدخل نفسه ضمن دائرة هؤلاء العلماء فكرس نفسه إلى دراسة علوم الفلاسفة وكان قد أعدّ العدّة لهدم أركانها فألف كتابه المشهور مقاصد الفلاسفة وأراد من وراء هذا الكتاب أن يفهم الناس النظريات والقواعد التي كان الفلاسفة متمسكون بها (وعلمت يقينا: أنه لا يقف على فساد نوع من العلوم من لا يقف على منتهى ذلك العلم، حتى يساوي أعلمهم في ذلك العلم، ثم يزيد عليه، ويتجاوز درجته، فيطلع على ما لم يطلع عليه صاحب العلم، من غوره وغائله، وإذ ذاك يمكن أن يكون ما يدعيه من فساده حقاً)[٤٩].

وقد قسم الفلاسفة إلى ثلاثة أقسام، وهم: الدهريون، والطبيعيون، والإلهيون. فالقسم الأول أنكروا الخالق وهم الزنادقة، أما الصنف الثاني فقد كان بحثهم عن الطبيعة وعن الحيوان والنبات وهؤلاء أنكروا الآخرة وزعموا أن النفس تموت ولا تعود، أي لا يوجد حشر ولا غيره، وهؤلاء هم زنادقة أيضاً، أما الثالث وهم الإلهيون، كأمثال سقراط وأفلاطون وآرسطوطاليس، وهؤلاء رتبوا المنطق وهذبوا العلوم وقد قام هؤلاء بالرد على الصنفين الأولين ثم بدأ كل واحد منهم- أي الإلهيين- بالرد على الآخر كما فعل آرسطو مع أفلاطون وسقراط، ولكنهم كانوا متفقين في مسائلهم الكفرية، ثم قام المتفلسفون الإسلاميون بنقل فلسفتهم إلى الإسلام، فلذلك وجب كفرهم كابن سينا والفارابي وغيرهما وقد كانا أمينين جداً في نقل علم أرسطوا[٥٠].

ومما يشار إليه إلى أن الطبيعيين كانوا يؤمنون بالله غير أن الغزالي عدّهم زنادقة وذلك لإنكارهم الآخرة[٥١].

ومن ثم قسم علومهم إلى ستة أقسام، وهي:

١. **الرياضية:** وتتعلق بالحساب والهندسة وعلم هيئة العلم، وهذا لا يتعلق لا بالنفي ولا بالإثبات بالدين، ولا سبيل إلى إنكاره غير أن فيه آفتان قد ذكرهما:

الأولى: إن من ينظر إلى هذه البراهين من دقتها وظهور براهينها يحسن الاعتقاد في جميع علومهم واستهانتهم بالشرع.

والثانية: إنكار هذه البراهين التي تتعلق بالحساب وهذا صادر من صديق للإسلام ولكنه جاهل، ظناً منه أن ذلك من الدين والذود عنه والدفاع عن الشريعة.

٢. **المنطقيات:** وهذا أيضاً لا يتعلق بالدين نفياً وإثباتاً، بل هو النظر في طرق الأدلة والمقاييس وشروط مقدمات البرهان وكيفية تركيبها، وشروط الحد الصحيح وكيفية ترتيبه.

٣. **الطبيعيات:** فهو يبحث عن عالم السماوات وكواكبها وما يتعلق بها كالماء والتراب والنار، وهذا أيضاً ليس من شرط الدين إنكار هذه العلوم إلا ما خالف نصوص قرآنية أو نبوية.

٤. **الإلهيات:** فيذكر الغزالي أن فيها أكثر أغاليطهم وقد ذكر هذه المسائل في كتابه التهافت وهي عشرين مسألة، ثلاثة منها يجب تكفيرهم بها وسبعة عشرة يجب تبديعهم بها، والمسائل الكفرية

هي: أولاً قولهم بقدم العالم والثاني إنكارهم لحشر الأجساد والثالث قولهم بأن الله لا يعلم بالجزئيات وإنما يعلم بالكليات فقط.

٥. **السياسيات:** فجميع كلامهم يتعلق بالأحكام السلطانية وهذه الأحكام قد أخذوها من كتب الله المنزلة على الأنبياء أو الحكم المأثورة عن سلف الأنبياء.

٦. **الخلقية:** أما هذا القسم فيتعلق بصفات النفس وأخلاقها وسبل مجاهدتها وتزكيتها وذكر أجناسها وأنواعها، وقد أخذوا ذلك من كلام الصوفية[٥٢].

خلاصة موقف الغزالي من علوم الفلاسفة يذكره في المنقذ إذ يقول:

١. قسم يجب التكفير به.

٢. قسم يجب التبديع به.

٣. وقسم لا يجب إنكاره أصلاً[٥٣].

ومن ثم دخل المناظرة معهم بأسلوب كلامي فلسفي ناقد غير أن دخوله كان دخول منكر– لفلسفتهم– لا مدعي مثبت ويسرد الأدلة تلو الأخرى ويبين فساد رأيهم ويسفه حججهم، وقد كان غرضه من ذلك كله هو أن يهدم الفلسفة الكفرية القائمة على اساس الكفر وقد تم له ذلك فعلاً فلم تقم لهم قائمة في المشرق بعد[٥٤]، والذي يظهر للباحث أن الإمام الغزالي جاء بفلسفة مؤيدة للدين موافقة للعقيدة الإسلامية هدم بها كل الفلسفات الكفرية ، وقد حقق من خلالها مبتغاه ومبتغى كل مسلم عجز عن ادراك حقيقة اللإسلام الشاملة .ثم بعد ذلك انتقل إلى الباطنية وهي الفئة الثالثة ٠

المطلب الثالث : الباطنية .

طائفة سياسية تغطت بغطاء الدين وجميع مقاصد أصحابها سياسية وهي لا تعترف بالعقل في مجال المعرفة وتدعو إلى الأخذ بالعلم من الإمام المعصوم والذي في نظرهم هو موجود في كل مكان ومبدؤهم قائم على (إبطال الرأي وإبطال تصرف العقول، ودعوة الخلق إلى التعليم من الإمام المعصوم، وأنه لا مدرك للعلوم إلا التعليم)[٥٥].

وقد لقبوا بعدة ألقاب غير أن الإمام الغزالي كان في أكثر الأحيان يلقبهم بالتعليمية نظراً لقولهم بأن لا سبيل إلى أخذ العلوم إلا بالتعليم، وقد ذكر لهم عشرة ألقاب وهي: (الباطنية، والقرامطة، والقرمطية، والخرمية، والخرمدينية، والإسماعيلية، والسبعية، والبابكية، والمحمرة، والتعليمية)[٥٦].

فبعد أن هدم الغزالي الفلسفة كان بجوار هذه الفتنة فتنة أعظم من السابقة وهي فتنة الباطنية، كان عليه معالجتها والتي ظهرت كما أوردنا بمظهر ديني وسياسي وكان خطرهم أشد على الإسلام من الفلسفة(٥٧).

وكان معظم دعاتها أفراداً وأمماً فقدت سيطرتها وسيادتها في ظل الفتوحات الإسلامية، فرأوا أن لا مطمع في إرجاع سيادتهم بالحروب والمقاومة المادية، لا برفع دعوات لكسب شباب الإسلام إلى صفهم وجعلهم ينادون بتلك الدعوات والشعارات التي هي بالحقيقة دعوات إلى الديانة بالشهوات ونشر المحرمات وإباحتها، وعبادة النفس(٥٨).

أما الانضمام إليهم فقد كان يختلف وذلك حسب الدوافع، فمنهم من دفعه إلى الانتقام من الدولة العباسية، لما رأوا من جورهم وظلمهم، ومنهم من دفعه حب أهل البيت– رضوان الله عليهم– والانتقام من ظالميهم. وقد كانت دعوتهم باسم هؤلاء، ومنهم من كان مندفعاً لأجل إشباع غرائزه، والتلذذ بالحياة، وذلك لما كان الباطنية يبيحون بعض الأشياء، ومنهم من كان مندفعاً برغبة شديدة في معرفة الأسرار والغوامض من رموز وغيره والذي كان مذهبهم قائم على ذلك(٥٩)، وعلى كل حال وإن اختلفت الدوافع فإن المقصد واحد، ومن أجل ذلك كسبوا أنصاراً وشيعاً كثيرة يقوم رؤساؤها بالتحكم فيهم، وقد ازداد فسادهم إلى أن وصل إلى حد أنهم كانوا يسرقون الإنسان من بيته فيقتلونه ويلقونه على قارعة الطريق أو في بئر حتى قيل إن الإنسان إذا لم يرجع إلى بيته وقت العصر أيسوا منه(٦٠). إلى أن أصبحت الباطنية مؤسسة عسكرية سرية تتزين بغطاء علمي وفكري يفتر بها كل إنسان وعندهم أن الإمام المعصوم والذي يفسد العالم بدونه والحياة لا تستقيم هو المنبع الوحيد للعلم والمعرفة(٦١).

وعندهم كذلك أن لظاهر النصوص القرآنية والنبوية بواطن، وأن ظواهرها توهم الجهال صوراً جلية، بينما هي عند العقلاء رموز وإشارات إلى حقائق خفية، وإن من لم يتدبر بواطن النصوص وقع في الأغلال التي هي بنظرهم تكليفات الشرع، ومن تدبر بواطنها رُفعت عنه التكليفات ويقولون بأن هذا هو المراد من قوله تعالى: ﴿**وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلاَلَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ**﴾ [الأعراف: ١٥٧](٦٢). وإن أكثر دعاة الباطنية بدأوا يستخفون بظواهر النصوص وتفضيل الباطن حتى وصلوا إلى التبري من ظواهرها وجعلها موضع سخرية واستهزاء(٦٣). وقد اتهموا أهل الظاهر والذين هم مخالفون لهم بالكفر والشرك، يقول الدكتور زاهد علي (لقد كان الأئمة والدعاة يفهمون تلاميذهم من الطبقة العليا أن الظاهر متناقض ومعوج، وأنه علم كثيف، وأنه. لا دليل عليه، وأنه لا حياة فيه، وأن أهل الظاهر هم أهل الكفر، بل أهل الشرك)(٦٤).

وقد كانت لهم عدة طرق وحيل في جذب الناس إذ أنهم كانوا يأتون إلى كل صنف من الناس بأسلوب يناسب ذلك الشخص، فمثلاً إن كان صالحاً جاءوا إليه عن طريق الدين ودعوا

إلى الالتزام بالدين، وأن الدنيا زائلة ولابد للإنسان أن يتهيأ ليوم لا مفر له منه ولا ينفع الندم وأن أمور الشرع لا يعرفها أحد غير رجل معصوم وهو الإمام وعلى الرجل اتباعه في كل ما يقول. وإن كان طالحاً قرروا عليه إلى أن العبادة وهم وأن الورع حماقة وأن الإنسان خلق ليتلذذ بهذه الحياة وأن هذه الشهوات والملذات ما خلقت إلا لأجله والإنسان آثم إذا ترك أية شهوة أو ملذة سواءً كان ذلك حلالاً أم حراماً لأن نشر المحرمات هو كان هدفهم وإسقاط هذا الدين فكرياً، هكذا كان أسلوبهم ومنهجهم في الدعوة[٦٥].

ومما ساعد على انتشار هذه الفئة هو انتشار الفلسفة بين شبان المسلمين والصراعات الفكرية بين الفلاسفة والمتكلمين وانشقاق الوحدة الفكرية الإسلامية، مما دفع بالشباب إلى الانضمام إليهم[٦٦]. وكما أسلفنا سابقاً، فإنهم قد اعتمدوا على التقليد وأن أكثر الناس كانوا يميلون إلى التقليد والاتباع. ونستطيع أن نشبه خطر هذه الفرقة بالسرطان، فإن هذه الآفة تنتشر في الجسم دون أن يعلم صاحبه إلى أن تقع الكارثة، وقس هذا على الإسلام فإن هذه الأفكار الهدامة تهدم من الداخل ومن الصميم. ولهذا أعدّ الله عز وجل لحماية هذا الدين رجالاً صدقوا ما عاهدوا الله عليه وكان المجتمع الإسلامي بحاجة ملحة إلى شخصية قوية ترد إليه الإيمان بأسلوب يستطيع إبطال هذه النظريات والفلسفات؛ فجاء حجة الإسلام الإمام أبو حامد الغزالي– رحمه الله– هذه الشخصية الفذة في منتصف القرن الخامس الهجري[٦٧].

وقد قام الإمام الغزالي ببيان شبهاتهم والاعتراض عليهم حتى قيل أنه قد بالغ في الرد عليهم ولكن لم يصل إلينا أكثر دقة بهذه الطريقة إذ أنه يبطل آرائهم ويصيبها في الصميم ويقوم بعد ذلك بالبرهان عليه إلى أن أطبق الفكر عليهم من كل جانب من جوانب أفكارهم[٦٨]. ومما يذكر في بطلان مذهبهم أن (رتبة هذه الفرقة أخس من رتبة كل فرقة من فرق الضلال، إذ لا تجد فرقة ينقض مذهبها بنفس المذهب سوى هذه)[٦٩].

وبهذا أعلن الإمام الغزالي الحرب عليهم علماً أنهم كانوا يهددون كل رجل دولة أو رجل دين عالم إذا خالفهم أو كتب في الرد عليهم، وقد رأى الغزالي بأم عينيه مصرع رجل الدولة الكبير نظام الملك وابنه فخر الملك على أيدي هؤلاء وقد كان أسلوبهم في التهديد بطعنة من خنجر أو دس السم في الأكل وإلى غير ذلك من الأساليب التي كانوا يتقنونها وينفذونها بلا خجل ولا وجل وبكل عناية ودقة. وهذا يدل على أن الغزالي لم يخف في الحق لومة لائم وكان عنده من اليقين أنه من توكل على الله سبحانه فهو حسبه وأن الله منقذه من أيدي الظالمين الذين سعوا في الأرض فساداً ودماراً وقتلاً، وعلى كل فإن الغزالي كتب في الرد عليهم عدة كتب منها (فضائح الباطنية)، و(القسطاس المستقيم). وقد ذكر في المنقذ كتباً في الرد عليهم وهي: (حجة البيان

والمسمى بحجة الحق ومفصل الخلاف والدرج المرقوم بالجداول)، وذكر في الجواهر (قاصم الباطنية ومواهم الباطنية). ومما يشار إلى أنه لم يحسبهم ضمن الشيعة؛ وذلك لأن (ظاهرهم الرفض وباطنهم الكفر) وهم يتسترون بالتشيع وهو قناعهم الذي يحققون وراءه كفرهم وزندقتهم والانتقام من الإسلام والمسلمين سنيهم وشيعيهم[٧٠].

المطلب الرابع : الصوفية.

كانت رغبة الإمام الغزالي شديدة في الوصول إلى الحقيقة نتيجة مطالعته الواسعة وتجاربه الروحية وقراءة كتب أهل الصنعة من الصوفية والتحقق من مواقفهم وقد حصل ذلك بعد أن فرغ من نقد الفلاسفة والوقوف على علم الكلام والمتكلمين والباطنية لم يبق أمامه سوى الصوفية، فراح يدرس دراسة جادة كل ما يتعلق بالتصوف وأهله.

لكنه علم أنه لا يتلاءم على الإطلاق مع طريقة حياته التي كانت مليئة بالشهرة والغنى والمنزلة ، لذلك آثر العزلة والخلوة مدة ستة أشهر إلى أن وصل إلى حال لا حول له ولا قوة إذ أقفل لسانه عن التدريس[٧١]. (جاوز الأمر حد الاختيار إلى الاضطرار، إذ أقفل الله لساني عن التدريس. حتى أورثت هذه العقلة في لساني حزناً في القلب بطلت معه قوة الهضم ومراءة الطعام والشراب. حتى قطع الأطباء طمعهم من العلاج)[٧٢]. ويقول أيضاً: (كان قد حصل معي– من العلوم التي مارستها والمسالك التي سلكتها في التفتيش عن صنفي العلوم الشرعية والعقلية– إيمان يقيني بالله تعالى، وبالنبوة، وباليوم الآخر، فهذه الأصول الثلاثة من الإيمان كانت قد رسخت في نفسي لا بدليل معين محرر، بل بأسباب وقرائن، وتجارب لا تدخل تحت الحصر تفاصيلها؛ وكان قد ظهر عندي: أنه لا مطمح في سعادة الآخرة إلا بالتقوى، وكف النفس عن الهوى، وأن رأس ذلك كله: قطع علاقة القلب عن الدنيا، بالتجافي عن دار الغرور، والإنابة إلى دار الخلود، والإقبال بكنه الهمة على الله تعالى، وأن ذلك لا يتم إلا بالإعراض عن: الجاه والمال، والهرب من الشواغل والعلائق.

ثم لاحظت أحوالي: فإذا أنا منغمس في العلائق، وقد أحدقت بي من كل الجوانب.

ولاحظت أعمالي– وأحسنها التدريس والتعليم– فإذا أنا فيها مقبل على علوم غير مهمة ولا نافعة في طريق الآخرة.

ثم تفكرت في نيتي في التدريس، فإذا هي غير خالصة لوجه الله تعالى، بل باعثها ومحركها طلب الجاه، وانتشار الصيت.

فتيقنت أني على شفا جرف هار، وأني أشفيت على النار، إن لم أشتغل بتلافي أحوالي.)[٧٣].

فعرض الإمام الغزالي العلوم وأكثر مصنفاته فيها، ولكنه علم أن عمل هذه العلوم هي العلم، ولكنه لم يتعلم كيف يخلص لله تعالى ويجمع فيه العلم العمل[٧٤]. وكان يراد منه أن يترك كل شيء يتعلق بالمنصب كأستاذ في المدرسة النظامية في بغداد، ويتنازل عن الأمور الدنيوية ويترك السعي وراءها[٧٥]. فعند ذاك توجه إلى الفئة الرابعة (الصوفية) وبحث عن غايته عند هؤلاء.

وقد وضح لنا في المنقذ كيف ابتدأ الطريق وكيف خلص بأن طريق التصوف هو من أصوب الطرق ثم يذكر الفرق بين العلم والعمل فقال: (ثم إني. أقبلت بمهمتي على طريق الصوفية. وعلمت أن طريقتهم إنما تتم بعلم وعمل.

وكان حاصل عملهم: قطع عقبات النفس، والتنزه عن أخلاقها المذمومة، وصفاتها الخبيثة، حتى يتوصل بها إلى تخلية القلب عن غير الله تعالى، وتحليته بذكر الله. وكان العلم أيسر علي من العمل.

فابتدأت بتحصيل علمهم من مطالعة كتبهم، مثل (قوت القلوب) لأبي طالب المكي- رحمه الله- وكتب الحارث المحاسبي، والمتفرقات المأثورة عن الجنيد، والشبلي، وأبي يزيد البسطامي، قدس الله أرواحهم، وغير ذلك من كلام مشايخهم، حتى اطلعت على كنه مقاصدهم العلمية، وحصلت ما يمكن أن يحصل من طريقهم بالتعليم والسماع. فظهر لي أن أخص خواصهم، ما لا يمكن الوصول إليه بالتعلم، بل بالذوق، والحال، وتبدل الصفات)[٧٦]. وعن الفرق بين العلم والعمل يقول: (وكم من الفرق بين أن يعلم حد الصحة، وحد الشبع، وأسبابهما، وشروطهما، وبين أن يكون صحيحاً وشبعان.

وبين أن يعرف حد السكر. وبين أن يكون سكران، بل السكران لا يعرف حد السكر، والصاحي يعرف حد السكر وأركانه، وما معه من السكر شيء.

والطبيب- في حالة المرض- يعرف حد الصحة، وأسبابها، وأدويتها، وهو فاقد الصحة. كذلك فرق بين أن تعرف حقيقة الزهد وشروطه، وأسبابه، وبين أن يكون حالك "الزهد" وعزوف النفس عن الدنيا)[٧٧].

ويقول : (علمت يقيناً أن الصوفية هم السالكون لطريق الله تعالى خاصة، وأن سيرتهم أحسن السير، وطريقهم أصوب الطرق، وأخلاقهم أزكى الأخلاق. فإن جميع حركاتهم وسكناتهم، في ظاهرهم وباطنهم، مقتبسة من نور مشكاة النبوة، وليس وراء نور النبوة- على وجه الأرض- نور يستضاء به.

وبالجملة، فماذا يقول القائلون في طريقة: طهارتها- وهي أول شروطها- تطهير القلب بالكلية عما سوى الله تعالى.

ومفتاحها- الجاري منها مجرى التحريم من الصلاة- استغراق القلب بالكلية بذكر الله، وآخرها: الفناء بالكلية في الله)[٧٨].

ولأننا نتكلم عن منهج فكري وتوجه روحي ، ومن شأنه ان يخطأ فيه الإنسان ؛ حيث إن النظرية مهما كانت ، فلابد من حصول خلل في تطبيقها ، فإنه رحمه على رغم جزمه وتمسكه بان منهج الصوفية الحقة أفضل المناهج لكنه يشير إلى مدعي هذا الطريق وأن من الضروري تمييز المدعين والكاذبين في هذا الطريق العظيم ، فقد توصل بشأن المتصوفة – لا الصوفية الحق – إلى نتيجة واضحة ؛ إذ يقول : (فعلمت يقيناً: أنهم أرباب "الأموال" لا أصحاب "الأقوال" وأن ما يمكن تحصيله بطريق العلم، فقد حصلته، ولم يبق إلا ما لا سبيل إليه بالسماع والتعلم، بل بالذوق والسلوك)[٧٩].

بهذا توصَّل الغزالي إلى الفئة التي كان يسعى وراءها وهم الصوفية الحق ، ولكن كان للمتصوِّفة عدة أخطاء وانحرافات أراد الغزالي أن يعيدها إلى أصل الطريقة . وبتعبير آخر: أراد أن يؤكد على أن التقويم ليس للأفكار الفرق الاخرى دون المتصوفة ، بل لابد من تقويمهم وتصحيح مسار من أراد السير في هذا الطريق .

لقد صور لنا الإمام الغزالي متصوفة زمانه ، فقال: (إن أكثر متصوفة هذه الأعصار لما خلت بواطنهم عن لطائف الأفكار، ودقائق الأعمال، ولم يحصل لهم أنس بالله تعالى وبذكره في الخلوة، كانوا بَطَّالين لا مشغولين قد ألفوا البطالة، واستثقلوا العمل، واستوعروا طريق الكسب، واستلانوا جانب السؤال والكدية، واستطابوا الرباطات المبنية لهم في البلاد، وسخروا الخدم المنتصبين للقيام بخدمة القوم، واستخفوا عقولهم وأديانهم، من حيث لم يكن قصدهم من الخدمة إلا الرياء والسمعة، وانتشار الصيت، واقتناص الأموال بطريق السؤال، تعللاً بكثرة الأتباع، فلم يكن لهم في الخانقهات[٨٠] حكم نافذ. فلبسوا المرقعات، واتخذوا في الخانقهات متنزهات. ويحسبون أنهم يحسنون صنعاً، ويعتقدون أن كل سواد تمرة. فهؤلاء بغضاء الله.)[٨١] .

وكذلك يرى بأنه قد غر كثير من المتصوفة وذلك لعدم إقبالهم على شيخ متقن في الدين والعلم واشتغال هؤلاء بالمجاهدة وترك العلم[٨٢].

وكذلك ينكر على بعض المتصوفة شطحاتهم وقولهم بالاتحاد أو بالحلول* وقد ذكر في الإحياء هذه الشطحات وقسمها إلى قسمين وبين بأن هذه الشطحات قد أورثها بعض الصوفية ، فالصنف الأول: وهو المدعي في العشق مع الله أي أن صاحبه يغرق في العشق مع الخالق حتى

يفقد فيصدر عنه بعض الكلام المنكر من قبل الشارع الإسلامي كما قال الحلاج وقتل بسبب ذلك، وقد بين بأن هذا شر كبير ومفسد للخلق.

والصنف الآخر: يصدر من شخص كلمات غير مفهومة، وليس وراءها طائل، وهذه الكلمات يصدرها عن خبط في عقله وتشويش في خياله. وقد تكون هذه الكلمات مفهومة ولكن صاحب هذه الكلمات لا يستطيع إفهامها للمستمع وذلك لقلة ممارسته للعلم، وافتقاره إلى ألفاظ ومعاني رشيقة. وفي الأخير بين بأن أمثال هذا الكلام يؤدي إلى تشويش القلوب وإلى حيرة الأذهان وأن شريعتنا واضحة لا رموز فيها ولا غوامض.

وبعدها يذكر طامة أخرى أعظم من غيرها وهي القول بأن للشرع ظواهر وبواطن وهذه البواطن يفهمها الصوفي والمراد من هذا القول هو تحريف القرآن الكريم. وكذلك قولهم بسقوط التكليف وذلك بعد وصول الصوفي إلى درجة اليقين وفسروا قوله تعالى ﴿**وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ**﴾ [الحجر: ٩٩] بأن مدة التكليف هي أن يصل العبد إلى هذه الدرجة وبعدها يصبح حراً يسقط عنه كل ما كلف به(٨٣).

وكل هذه الأقوال قد أنكرها الإمام الغزالي في أماكن عديدة من كتبه وخاصة الإحياء وبين بأن أمثال هذه الأقوال هي أقرب إلى الكفر منها إلى الإيمان مُنَزِّها التصوف الذي هو مقام الإحسان عنها .

وهذا يمكننا من القول: أن الإمام الغزالي قد أنشأ مدرسة جديدة في التصوف تميزت بخلوها من البدع والمخالفات والشطحات ، تصوف حقيقي. ذلك المستمد من القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة ثم أقوال وأفعال السلف الصالح– رضوان الله عليهم أجمعين.

وبهذا كان للإمام الغزالي الأثر الواضح في تصويب أو تصحيح مسار المتصوفة ؛ لأنه رحمه الله قد أخذ التصوف من ينابيعه ومصادره الصافية كما ذكر هو في المنقذ أمثال الجنيد البغدادي والحارث المحاسبي . وما رآه من أخطاء متصوفة عصره واجهه بالإنكار عليهم وتذكيرهم بأن الطريق الذي سلكه كبار الصوفية مخالف تماماً لما يقولونه أو يفعلونه وأنهم قد ضلوا الطريق.

أما الفلاسفة والباطنية فقد كانت أخطاؤهم في حقيقة مذاهبهم وصميمها ؛ مما أفسد أصلها ؛ ولهذا حمل عليهم. وكان ردهُ للصوفية المنحرفة رداً على انحرافاتهم لا رداً على المذهب. بينما رد مذهبي الفلاسفة والباطنية رداً قاسياً. وأظهر على الصوفية سبب انحرافهم هو الجهل والبعد عن العلم، والاشتغال بالمجاهدة فقط(٨٤). وقد ذم الصوفية بشكل عام عندما رأى من جانبهم رفض العقل(٨٥).

وقد كانت لحياة الإمام الغزالي وتجربته الروحية العامل الأكبر الذي أعانه على معرفة أحوال الصوفية وملائمتها لفكره ، إذ أن الصوفية قد رفضوا التقليد بخلاف المذاهب الأخرى كالمتكلمين والباطنية والفلاسفة.

كما أن الصوفية يعتمدون على القلب في اتصاله بعالم الملكوت الذي يتجلى فيه حقيقة الأشياء بعد تزكيته وتطهيره من الصفات المذمومة والخبيثة[٨٦]. وهذا كان مطلب الإمام الغزالي الذي نشده عند الصوفية دون غيرهم ، وقد ذكر الدكتور أبو العلا عفيفي بشأن مذهب الغزالي فقال: (وبدا للغزالي الحقيقة التي كان ينشدها في الطريق الصوفي، ولكن لم تصرفه هذه الحقيقة عن الشريعة ولا حولته عن عقيدة السلف)[٨٧]. وأخيراً: أثبتت الدراسة أن صوفية الإمام الغزالي كانت علماً وعملاً، إذ أخذ من العالم علمه وعقله ومن الصوفي قلبه وإيمانه[٨٨].

الخاتمة أهم النتائج والتوصيات :

أولاً : النتائج :

١. الغزالي منصفٌ في حُكمِهِ : لم ينتقد الإمام الغزالي فرقة إلا وقد خاض في أصولها وفروعها وعرف مذاق تفكيرها ، فهو يضرب لنا درسا عظيما في البحث والتحليل والإستنتاج .

٢. الغزالي منصِفٌ مع خصومه : لم ينتقد الإمام الغزالي الكل رفضا تاماً ، وإنما وقف على مفاصل الفساد الفكري في كل فرقة ووضع يده على الجرح مع بيانه لما هو صحيح عندهم . وبهذا يعطينا درسا رائعا في عدم إلغاء الآخر والبحث عن القواسم المشتركة ليتميز مضان التقاطع .

٣. الغزالي صوفي بإمتياز . فعلى صعيد الغزالي نفسه ظهر لنا أن أكثر الفرق التي مال اليها هم الصوفية رغم انتقاده للمدعين والمنحلين ممن لبس هذا الثوب الطاهر (مقام الإحسان).

٤. الغزالي متكلمٌ أشعري . حيث لاحظنا حينما مر في كلامه على المتكلمين ، فإن إنتقاده لهم لم يذهب به مذهبا آخر ، ولم يخرجه عن دائرتهم . إلا أن الأحوال التي مر بها في الحُقْبة التي قبل الرازي حيث لم يبلغ علم الكلام آنذاك ذروة التحقيق لم تكن وافية بمطالبه ولم تداوي جراحه . وهذا الأمر يخص حالته . الأمر الذي لم يخرجه عن دائرة المتكلمين النُظَّار بل لم يخرجه عن الأشاعرة كما هو ظاهر كتبه .

ثانياً : التوصيات :

١. ضرورة توسيع دائرة البحث العلمي والنظر في كتب الغزالي وتراثه .

٢. أوصي أخوتي الطلبة أن ينهلوا من هذا الإمام العظيم لاسيما وتجربته الفكرية التي أخذنا منها الدرس الكلامي الرائع .

٣. مازالت هناك جوانب بحثية تتسم بعناوين لم تبحث في الدرس الكلامي عند الغزالي منها :

أ- ما كتبه الخصوم عنه فهو مفقود . فإننا حتى هذه اللحظة لم نجد خصما من خصومه لا في زمانه ولا في الذي بعده كتب عن موقف كان الغزالي فيه مهزوما أبداً . فلابد من الخوض في تراث الأمة لرفد الباحثين بتلك المعلومات التي ستزيد من معرفتنا بسلفنا في العلم والمعرفة ، والفخر ما شهدت به الأعداء .

ب- صفة الدرس الكلامي في منتصف القرن الخامس ودور الغزالي فيه – دراسة غير تأريخية . وأعني بـ(غير التأريخية) ان الباحث يسلط الضوء على الأفكار والمعتقدات ويكثر من النظر في الادلة بغض النظر عن الجوانب التأريخية .

ت- الفرق التي كانت جمهور الصراع الفكري مع الغزالي في النصف الثاني من القرن الخامس – دراسة عقدية (غير تأريخية) .

ث- الشبه والإيرادت التي توجَّهتْ للغزالي من خصومه وموقفه منها- جمعا ودراسة .

فرحم الله الغزالي وأجزل له المثوبة وجعلنا من السائرين على خطاه آمين.

والحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

هوامش البحث:

ملاحظة: سأذكر هنا معلومات كاملة عن المصادر والمراجع عند ذكرها لأول مرة مما يغنينا عن اعداد جريدة للمصادر والمراجع.

(١) ينظر: العين ، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (المتوفى: ١٧٠هـ)، تحقيق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال ، ٣٩٦/١ ؛ومختار الصحاح ، محمد بن ابي بكر بن عبد القادر الرازي (ت ٦٦٦هـ)،دار الفكر، بيروت ، ط١،١٩٨٣م، ٢٣٩/١ ؛ ولسان العرب، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (المتوفى: ٧١١هـ) ، دار صادر –بيروت،ط٣- ١٤١٤هـ،مادة : فرق ،٢٩٩/١٠ ؛ والمصباح المنير في غريب الشرح الكبير ، أحمد بن محمد بن علي الفيوميثم الحموي، أبو العباس (المتوفى: نحو ٧٧٠هـ)، المكتبة العلمية –بيروت،(١٧٦/٧) ؛وتاج العروس من جواهر القاموس، محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني الزبيدي، دار صادر، بيروت ، ط١، ١٩٨٤م ،٦٥٣٩/١.

(٢) هو : علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري. أبو محمد. عالم الأندلس في عصره. أصله من الفرس. أول من أسلم من أسلافه جد له كان يدعى يزيد مولى ليزيد بن أبي سفيان رضي الله عنه. كانت لابن حزم الوزارة وتدبير المملكة، فانصرف عنها إلى التأليف والعلم. كان فقيها حافظا يستنبط الأحكام من الكتاب والسنة على طريقة أهل الظاهر، بعيدا عن المصانعة حتى شبه لسانه بسيف الحجاج. طارده الملوك حتى توفي مبعدا عن بلده. كثير التأليف. مزقت بعض كتبه بسبب معاداة كثير من الفقهاء له، توفي سنة: (٣٨٤هـ – ٤٥٦هـ)، ينظر :وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان، تحقيق : إحسان عباس، الناشر : دار صادر – بيروت١٩٠٠م ، ١٠/١.

(٣) ينظر : الفصل في الملل والأهواء والنحل، ابن حزم ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط١ ، ١٩٨٧م ،٢/ ٢٦٣.

(٤) كما أشرتُ إليه في المناسبة بين المعنى اللغوي والاصطلاحي ص٢.

(٥) ينظر : منهج القران في تحصين الامة من الفرقة والاختلاف ، محمود محمد دواد الصميدعي ، مركز البحوث والدراسات الاسلامية ، بغداد ٢٠٠٧م ،ص٥٧-٥٨ .

(٦) سنن الدارمي ، عبد الله بن عبد الرحمن ابو محمد الدارمي ، دار الكتاب العربي ، بيروت، ط١ ، ١٩٨٧م، حديث رقم ٦٤٦ .

(٧) ينظر : الاعتصام، الإمام أبي إسحاق إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الشاطبي الغرناطي (ت ٧٩٠هـ)، مؤسسة الكتب الثقافية ، بيروت ، ط١و١٩٩٦م، ٢ / ١٣٨ .

(٨) أخرجه أبو داود والترمذى وابن ماجه والحاكم وصححه وقال الترمذي : حسن صحيح. سنن أبي داود ، ابو داود سليمان بن الأشعث السجستاني ، دار الكتاب العربي ، بيروت ،ط٢ ،١٩٩٠م، الحديث رقم ٤٥٩٨. الجامع الصحيح سنن الترمذي، محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت، ط٢ ، ١٩٩٤م ، باب: إفتراق الأمة، ٢٥/٥، الحديث رقم ٢٦٤٠و سنن إبن ماجة ، محمد بن يزيد أبو

عبد الله القزويني ، دار الفكر ، بيروت ، ط١، ١٩٨٦م، الحديث رقم٣٩٩١، المستدرك على الصحيحين ، والإمام الحاكم أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد النيسابوري، دار المعرفة ، بيروت ، ١٩٨٨م، الحديث رقم ١٠.

(٩) ينظر : تاريخ الفرق الاسلامية ، الغرابي ، ص١٩-٢٠ .

(١٠) الفصل في الملل والأهواء والنحل، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري (المتوفى: ٤٥٦هـ) ،مكتبة الخانجي –القاهرة، ٢/ ٨٨ .

(١١) ينظر: منهج البحث عن المعرفة عند الغزالي، فيكتور سعيد باسيل ، ٢١- ٢٢.

(١٢) المنقذ من الضلال ،أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (المتوفى: ٥٠٥هـ)، بقلم: الدكتور عبد الحليم محمود ، دار الكتب الحديثة، مصر، ص٥٣٧- ٥٣٨.

(١٣) ينظر: المنقذ من الضلال: ص٥٤٠.

(١٤) اعلم أنّ السعادة العظمى والمرتبة العليا للنفس الناطقة هي معرفة الصانع تعالى بماله من صفات الكمال والتّنزّه عن النّقصان، وبما صدر عنه من الآثار والأفعال في النشأة الأولى والآخرة . وأن الطريق المؤدي إلى هذه المعرفة من وجهين :

الأوّل : طريقة أهل النظر والاستدلال . وسالكو هذه الطريقة فئتان :

١. فإن اتّبعوا ملّة من ملل الأنبياء عليهم الصلاة والسلام فهم المتكلّمون .

٢- وإن لم يتبعوا ملة من الملل فهم الحكماء المشّائيّون، لقّبوا بذلك ؛ لأنّهم كانوا مشّائين في ركاب أفلاطون متعلّمين منه العلم والحكمة بطريق المباحثة.

والثاني : طريقة أهل الرياضة والمجاهدة. وسالكوهذه الطريقة فئتان :

١- إن وافقوا في رياضتهم الشريعة الإسلامية فهم الصوفية المتشرّعون .

٢- وإن لم يوافقوا الشريعة الإسلامية فهم الحكماء الإشراقيون، لقّبوا بذلك ؛ لأنّهم هم الذين أشرقت بواطنهم الصافية بالرياضة والمجاهدة من باطن أفلاطون حاضرين في مجلسه أو غائبين عنه ، ومتوجهين إلى باطنه الصافي المتحلى بالعلوم والمعارف، مستفيدين منه بالتوجّه إلى باطنه لا بالمباحثة والمناظرة، فلكلّ طريقة طائفتان. يُنظر : دستور العلماء = جامع العلوم في اصطلاحات الفنون ، القاضي عبد النبي بن عبد الرسول الأحمد نكري (المتوفى: ق ١٢هـ) ، عرب عباراته الفارسية: حسن هاني فحص ، مط : دار الكتب العلمية – لبنان / بيروت ، الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م ، ٨٢/٢ ؛ وموسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم ، محمد بن علي ابن القاضي محمد حامد بن محمّد صابر الفاروقي الحنفي التهانوي (المتوفى: بعد ١١٥٨هـ) ، تقديم وإشراف ومراجعة: د. رفيق العجم ، تحقيق: د. علي دحروج ، نقل النص الفارسي إلى العربية: د. عبد الله الخالدي ، الترجمة الأجنبية: د. جورج زيناني ، : مكتبة لبنان ناشرون – بيروت ، الطبعة: الأولى – ١٩٩٦م ، ٧٠٢/١.

(١٥) ينظر: نظرية العلم عند الغزالي: ص٢٦٣.

(١٦) المنخول، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (المتوفى: ٥٠٥هـ)، حققه وخرج نصه وعلق عليه: الدكتور محمد حسن هيتو، دار الفكر المعاصر– بيروت لبنان، دار الفكر دمشق –سورية،ط٣ ، ١٤١٩ هـ– ١٩٩٨ مص٤.

(١٧) ينظر: نظرية العلم عند الغزالي: ص٢٦٣.

(١٨) الرَّئيس ابن سِينا (٣٧٠ – ٤٢٨ هـ = ٩٨٠ – ١٠٣٧ م) الحسين بن عبد الله بن سينا، أبو علي، شرف الملك: الفيلسوف الرئيس، صاحب التصانيف في الطب والمنطق والطبيعيات والالهيات. أصله من بلخ، ومولده في إحدى قرى بخارى ونشأ وتعلم في بخارى . صنَّف نحو مئة كتاب أشهر كتبه (القانون) كبير في الطب، يسميه علماء الفرنج (Canonmedicina) بقي معولا عليه في علم الطب وعمله، ستة قرون، وترجمه الفرنج إلى لغاتهم، وكانوا يتعلمونه في مدارسهم، وطبعوه بالعربية في روما ،وهم يسمون ابن سينا Avicenne وله عندهم مكانة رفيعة. ومن تصانيفه (المعاد) رسالة في الحكمة، و (الشفاء) في الحكمة و (الإشارات) وغير ذلك . ينظر : وفيات الأعيان ١٥٢/١ ؛ وتاريخ حكماء الإسلام ٢٧–٧٢ ؛ ولسان الميزان ٢٩١/٢.

(١٩) عضد الدين الإيجي (٧٠٨ – ٧٥٦ هـ) هو عبد الرحمن بن أحمد بن عبد الغفار بن أحمد عضد الدين الإيجي، الشيرازي الشافعي. ينسب إلى (إيج) بلدة بفارس من كورة دار أبجرد. عالم مشارك في العلوم العقلية والمعاني والفقه وعلم الكلام. قاضي قضاة المشرق. من تصانيفه: " المواقف " في علم الكلام، و " شرح مختصر ابن الحاجب " في أصول الفقه، و " الفوائد الغياثية "، و " جواهر الكلام ". ينظر : شذرات الذهب ١٧٤/٦؛ والدرر الكامنة ٣٢٣/٢ ؛ والبدر الطالع ٣٢٦/١؛ والأعلام ٦٦/٤ .

(٢٠) التفتازاني (٧١٢ – ٧٩٣ هـ) هو مسعود بن عمر بن عبد الله، سعد الدين، التفتازاني، عالم شارك في الفقه والنحو والمعاني والبيان والأصول وغير ذلك، ولد بتفتازان (من بلاد خراسان) ، وأقام بسرخس، وأبعده تيمورلنك إلى سمرقند، فتوفى فيها. من تصانيفه: " شرح الأربعين النووية "، " شرح العقائد النسفية "، و " مقاصد الطالبين "، و " شرح مقاصد الطالبين "، و " حاشية على شرح العضد على مختصر ابن الحاجب ". ينظر : الدرر الكامنة ٣٥٠/٤ ؛ والبدر الطالع ٣٠٣/٢ ؛ وشذرات الذهب ٦/ ٣١٩ – ٣٢٢، ؛ والأعلام ١١٣/٨؛ ومعجم المؤلفين ١٢/ ٢٢٨.

(٢١) الفَارَابي (٢٦٠ – ٣٣٩ هـ = ٨٧٤ – ٩٥٠ م) محمد بن محمد بن طرخان بن أوزلغ، أبو نصر الفارابيّ، ويعرف بالمعلم الثاني: أكبر فلاسفة المسلمين. تركي الأصل، مستعرب. ولد في فاراب (على نهر جيحون) وانتقل إلى بغداد فنشأ فيها، وألف بها أكثر كتبه، ورحل إلى مصر والشام. واتصل بسيف الدولة ابن حمدان. وتوفي بدمشق. كان يحسن اليونانية وأكثر اللغات الشرقية المعروفة في عصره. ويقال: ان الآلة المعروفة بالقانون، من وضعه، ولعله أخذها عن الفرس فوسعها وزادها إتقانا فنسبها الناس إليه. وعرف بالمعلم الثاني، لشرحه مؤلفات أرسطو (المعلم الأول) وكان زاهدا في الزخارف، لا يحفل بأمر مسكن أو مكسب، يميل إلى الانفراد بنفسه، ولم يكن يوجد غالبا في مدة إقامته بدمشق إلا عند مجتمع ماء أو مشتبك رياض. له نحو مئة كتاب، منها (الفصوص) ترجم إلى الألمانية، و (إحصاء العلوم والتعريف بأغراضها) و (آراء أهل المدينة الفاضلة) و (إحصاء الإيقاعات) في النغم، و (المدخل إلى صناعة الموسيقى) و (الموسيقى الكبير) و

(الآداب الملوكية) و (مبادئ الموجودات) رسالة ترجمت إلى العبرية وطبعت بها، و غير ذلك . ينظر : الاعلام للزركلي ١٩/٧ .

(٢٢) المنقذ من الضلال: ص٥٤٠- ٥٤١.

(٢٣) ينظر: الغزالي حجة الإسلام ومجدد المئة الخامسة ، الشامي، دار القلم دمشق، ط١،١٤١٣هـ- ١٩٩٣م، ص٦٩.

(٢٤) ينظر: إحياء علوم الدين، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (المتوفى: ٥٠٥هـ)، دار المعرفة – بيروت، ١/ ٢٣.

(٢٥) سنن الترمذي: ٥/ ٣٧٨، باب ومن سورة الزخرف، رقم الحديث (٣٢٥٣)، وينظر: مسند الإمام أحمد: ٥/ ٢٥٢، رقم الحديث (٢٢٢١٨).

(٢٦) إحياء علوم الدين: ٣/ ٣٩٤- ٣٩٥.

(٢٧) ينظر: نظرية العلم عند الغزالي: ص٢٦٣.

(٢٨) الغزالي حجة الإسلام ومجدد المئة الخامسة: ص٧٤.

(٢٩) ينظر: الاقتصاد في الاعتقاد، دار الفكر بيروت – لبنان ، ص٧٨.

(٣٠) ينظر: الاقتصاد في الاعتقاد، ص٧٨.

(٣١) ينظر: الاقتصاد في الاعتقاد، ص٧٩.

(٣٢) ينظر: الاقتصاد في الاعتقاد، ص٧٩.

(٣٣) ينظر: الاقتصاد في الاعتقاد، ص٧٩.

(٣٤) ينظر: إحياء علوم الدين: ١/ ٦٤.

(٣٥) إحياء علوم الدين: ١/ ٩٤.

(٣٦) إحياء علوم الدين: ١/ ٢٢.

*إن الناظر في كلام الإمام الغزالي قد يجد تبايناً في الحكم عنده على علم الكلام ، والحقيقة أن الإمام الغزالي يفرق بين علم الكلام الإسلامي وبين علم الكلام غير الإسلامي دون أن يظهر الفرق بينهما . فهو يعد علم الكلام في المنخول من علوم الدين ويقصد به علم الكلام الإسلامي ، ثم يقول بخلافه في الإحياء ولا يعده من العلوم . فأردت أن أبين هنا حقيقة الحكمين .

(٣٧) إحياء علوم الدين : ١/ ١٠٣.

(٣٨) المصدر نفسه: ١/ ٢٩.

(٣٩) المصدر نفسه: ١/ ٩٤.

(٤٠) ينظر: أعلام الفلسفة العربية، اليازجي، ص٦٩٩.

(٤١) ينظر: نظرية العلم عند الغزالي: ص١٦٩.

(٤٢) يُنظر : دستور العلماء ، ٨٢/٢ ؛ وموسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم ، ٧٠٢/١.

(٤٣) ينظر: المنهج الفلسفي بين الغزالي وديكارت: ص٢٤.

(٤٤) تهافت الفلاسفة، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (المتوفى: ٥٠٥هـ) ، تحقيق: د. سليمان دنيا، دار المعارف، القاهرة –مصر،ط٦،ص٤٠.

(٤٥) الغزالي حجة الإسلام ومجدد المئة الخامسة، الشامي، ٧٥.

(٤٦) ينظر: أعلام الفلاسفة العربية، اليازجي، ص٧٠١.

(٤٧) ينظر: المنهج الفلسفي بين الغزالي وديكارت، زقزوق، ص٢٤– ٢٧.

(٤٨) ينظر: المعيار الخلقي ونسق الفضائل عند الإمام الغزالي، ضمن الإمام الغزالي الذكرى المئوية التاسعة لوفاته: ص٣٨٦. قطر

(٤٩) الغزالي حجة الإسلام ومجدد المئة الخامسة ، الشامي، ص٧٥.

(٥٠) ينظر: الغزالي حجة الإسلام ومجدد المئة الخامسة، الشامي، ص٧٧.

(٥١) ينظر: أعلام الفلسفة العربية، اليازجي، ص٧٠١– ٧٠٣.

(٥٢) ينظر: المنقذ من الضلال، الغزالي، ص٥٤٣.

(٥٣) المصدر السابق: ص٥٤٥.

(٥٤) ينظر: أعلام الفلسفة العربية، اليازجي، ص٧٠١– ٧٠٣.

(٥٥) فضائح الباطنية ،الغزالي، تحقيق عبد الرحمن بدوي، دار القومية القاهرة ، ١٩٦٤م ، ص١٧.

(٥٦) ينظر: المنهج الفلسفي بين الغزالي وديكارت، زقزوق، ص٢٧– ٢٩.

(٥٧) ينظر: الغزالي بين مادحيه وناقديه، القرضاوي، ص٥٧– ٦٢.

(٥٨) ينظر: الغزالي حجة الإسلام ومجدد المئة الخامسة، الشامي، ص٥٧.

(٥٩) ينظر: رجال الفكر والدعوة ، الندوي، ص١٧٤.

(٦٠) ينظر: تلبيس إبليس، ابن الجوزي، دار القلم ، بيروت لبنان ، ط٢/١٩٨٣م، ص١١٠.

(٦١) ينظر: الغزالي بين مادحيه وناقديه، القرضاوي، ص٥٧– ٦٢.

(٦٢) ينظر: تلبيس إبليس، ابن الجوزي، ص١٠٢.

(٦٣) ينظر: الغزالي حجة الإسلام ومجدد المئة الخامسة، الشامي، ص٥٩.

(٦٤) المرجع نفسه: ص٥٩.

(٦٥) ينظر: الغزالي بين مادحيه وناقديه ، القرضاوي، ص٦١.

(٦٦) ينظر: الحقيقة عند الغزالي ، سليمان دنيا، ص٦– ١٥.

(٦٧) ينظر: المرجع نفسه: ص٧– ٩.

(٦٨) ينظر: المنهج الفلسفي بين الغزالي وديكارت، زقزوق، ص٢٨.

(٦٩) فضائح الباطنية ، الغزالي، ص٥٢– ٥٣.

(٧٠) ينظر: الغزالي بين مادحيه وناقديه ، القرضاوي، ص٦٢.

(٧١) ينظر: المنهج الفلسفي بين الغزالي وديكارت، زقزوق، ص٢٩.

(٧٢) المنقذ من الضلال، الغزالي، ص٥٥٣.

(٧٣) المصدر نفسه: ص٥٥٢.

(٧٤) ينظر: المنهج الفلسفي بين الغزالي وديكارت ، زقزوق، ص٣٠.

(٧٥) ينظر: الغزالي حجة الإسلام ومجدد المئة الخامسة، الشامي، ص١٠٣- ١٠٤.

(٧٦) المنقذ من الضلال ، الغزالي، ص٥٥٢.

(٧٧) المصدر نفسه: ص٥٥٢.

(٧٨) المنقذ من الضلال ، الغزالي، ص٥٥٤- ٥٥٥.

(٧٩) المصدر نفسه: ص٥٥٢- ٥٥٣.

(٨٠) جمع خانقاه ، وهي التكية وزاوية المرشد .

(٨١) إحياء علوم الدين ، الغزالي، ٢/ ٢٥٠.

(٨٢) ينظر: الغزالي حجة الإسلام ومجدد المئة الخامسة: ص١١٩.

* الاتحاد: قد فسر بأنه تصبح ذاتين في ذات واحدة، وهو حال الصوفي الواصل، وقيل هو شهود وجود الحق المطلق من حيث أن جميع الأشياء الموجودة بوجود ذلك الواحد، معدومة في أنفسها، لا من حيث أن لما سوى الله وجوداً خاصاً به يصير متحداً بالحق، تعالى الحق عن ذلك علواً كبيراً. وقيل هو شهود الوجود الحق الواحد المطلق الذي موجود بالحق، فيتحد به الكل من حيث كون كل شيء موجوداً به معدوماً بنفسه، لا من حيث أن له وجوداً خاصاً اتحد به فإنه محال. د. عبد المنعم الخفني، الموسوعة الصوفية: ص٦٢٨.

الحلول: قال بعضهم: إن الله تعالى يحل في العارفين، وقيل إن الله تعالى لا يحل في غيره؛ لأن الحلول هو الحصول على سبيل التبعية فنيفي الوجوب الذاتي، وكما لا تحل ذاته في غيره لا تحل صفته في غيره؛ لأن الانتقال لا يتصور على الصفات وإنما هو من خواص الأجسام والجواهر. والمخالف في هذا الأصل من المتصوفة قالوا مثل النصارى: لقد حل الباري تعالى في عيسى ﷺ، وقالوا: لا يمتنع أن يظهر الله تعالى في صورة بعض الكاملين، وأكملهم العترة الطاهرة، ولم يتحاشوا أن يؤلهوا أئمتهم، وهذه ضلالة بينة. د.عبد المنعم الخفني، الموسوعة الصوفية: ص٧٢٥.

(٨٣) ينظر: إحياء علوم الدين، الغزالي، ٣/ ٤٠٥.

(٨٤) ينظر: الغزالي حجة الإسلام ومجدد المئة الخامسة، الشامي، ص١٣١- ١٣٦.

(٨٥) ينظر: المنهج الفلسفي بين الغزالي وديكارت، زقزوق، ص٢٩، وينظر: الإحياء: ١/ ٩٤.

(٨٦) ينظر: نظرية العلم عند الغزالي ، الكبيسي، ص٣٢٧.

(٨٧) التصوف الثورة الروحية في الإسلام، أبو العلا عفيفي، القاهرة ط١، ١٩٦٣م، ص١٢١.

(٨٨) ينظر: الفكر التربوي ومصادره عند الغزالي، ضمن الإمام الغزالي الذكرى المئوية التاسعة لوفاته مجموعة بحوث ومقالات ، محمود قمبر، ص٢٥٧ قطر.